... مَدَائحُهُ تزيدُ القلْبَ شَوْقاً...

كان أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وهو ابن خالتها ، قال ابن إسحاق: وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة ، حين فرّق الإسلام بينهما ، حتىٰ إذا كان قبيل الفتح ـ فتح مكة ـ خرج أبو العاص تاجراً إلىٰ الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمالٍ له وأموال لرجالٍ من قريش أبضعوها معه[1].

فلما فرغ من تجارته، وأقبل قافلاً، لقيته سرية من سرايا رسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت جنح الليل ، حتىٰ دخل علىٰ زينب بنت رسول الله ﷺ ، فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الصبح ، فكبّر للصلاة وكبّر المسلمون ، صاحت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس ، إني قد أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع!

فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة ، أقبل علىٰ الناس ، فقال: «أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ؟» ، قالوا: نعم.

قال: «أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمتُ بشيء من ذلك حتىٰ سمعتُ ما سمعتم ، وإنه يجير علىٰ المسلمين أدناهم» ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل علىٰ ابنته زينب فقال: «أي بُنيّة ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصنّ إليكِ ، فإنكِ لا تحلّين له».

---

(١) أي: جعلوها بضاعة.

ثم بعث رسول الله ﷺ، إلىٰ السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: «إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، أن تُحسنوا وتردّوا عليه الذي له ، فإنا نحبّ ذلك ، وإن أبيتُم ، فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به».

فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه، ثم احتمل أبو العاص ماله إلىٰ مكة ، فأدّىٰ إلىٰ كل ذي مالٍ من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه ، ثم قال: يا معشر قريش ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيّاً كريماً.

قال: فأنا أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ووالله ما منعني من الإسلام عنده ، إلاّ تخوّف أن تظنّوا إني إنما أردتُ أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم ، وفرغتُ منها ، أسلمتُ ، ثم خرج من مكة حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ مسلماً ، فأعاد إليه رسول الله ﷺ زوجته ، وفرح المسلمون بذلك[1].

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!.

بمدح المصطفىٰ تحيا القلوبُ ... وتغتفرُ الخطايا والذّنوبُ
وأرجو أن أعيش به سعيداً ... وألقاه وليس عَلَيَّ حُوبُ
يفرّج ذِكْرُه الكرباتِ عنّا ... إذا نزلت بساحتنا الكروبُ
مدائحه تزيد القلب شوقاً ... إليه كأنها حليٌ وطيبُ
وأذكره وليلُ الخطب داجٍ ... عليّ فتنجلي عنّي الخطوبُ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٣١٢ ، طبقات ابن سعد: ٨/ ٢٢.